

روح المعاني

إلهية وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية ومثلهم كمن يرى الشء عيانا من قريب ولذلك قال تعالى في صفة نبينا صلى الله عليه وسلم : أفتمارونه على ما يرى والثاني منازل الصديقين وهم الذين يتأخرون على الأنبياء عليهم السلام في المعرفة ومثلهم كمن يرى الشء عيانا من بعيد وإياه عنى على كرم الله وجهه حيث قيل له : هل رأيت الله تعالى فقال : ما كنت لأعبد ربا لم أره ثم قال لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان والثالث منازل الشهداء وهم الذين الشء بالبراهين ومثلهم كمن يرى الشء في المرآة من مكان قريب كحال من قال : كأنى أنظر الى عرش ربي بارزا وإياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : اعبد الله كأنك تراه والرابع منازل الصالحين وهم الذين يعلمون الشء بالتقليد الجازم ومثلهم كمن يرى الشء من بعيد في مرآة وإياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : فان لم تكن تراه فانه يراك قاله الراغب ونقله الطيبي وغيره ونقل بعض تلامذة مولانا الشيخ خالد النقشبندی قدس سره أنه قرر يوما أن مراتب الكمل أربعة : نبوة وقطب مدارها نبينا صلى الله عليه وسلم ثم صديقية وقطب مدارها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم شهادة وقطب مدارها عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ثم ولاية وقطب مدارها على كرم الله وجهه وأن الصلاح في الآية إشارة الى الولاية فسأله بعض الحاضرين عن عثمان رضي الله تعالى عنه في أي مرتبة هو من مراتب الثلاثة بعد النبوة فقال : ان رضي الله تعالى عنه قد نال حظا من رتبة الشهادة وحظا من رتبة الولاية وأن معنى كونه ذا النورين هو ذلك عند العارفين انتهى .

وأنا مستعينا بالله تعالى ومستمدا من القوم قدس الله تعالى أسرارهم أقول : ان الولاية هي المحيطة العامة والفلك والدائرة الكبرى وأن الولي من كان على بينة من ربه في حاله فعرف ماله باخبار الحق إياه على الوجه الذي يقع به التصديق عنده ويصدق على أصناف كثيرة إلا أن المذكور منها في هذه الآية أربعة : الصنف الأول الأنبياء والمراد بهم هنا الرسل أهل الشرع سواء بعثوا أو لم يبعثوا أعنى بطريق الوجوب عليهم ولا بحث لأهل الله تعالى عن مقاماتهم وأحوالهم إذ لا ذوق لهم فيها وكلهم معترفون بذلك غير أنهم يقولون : ان النبوة عامة وخاصة والتي لا ذوق لهم فيها هي الخاصة أعنى نبوة التشريع وهي مقام خاص في الولاية . وأما النبوة العامة فهي مستمرة سارية في أكابر الرجال غير منقطعة دنيا وأخرى لكن باب الاطلاق قد أنسد وعلى هذا يخرج مارواه البدر التماسكى البغدادي عن الشيخ بشير عن القطب عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه قال : معاشر الانبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا

فان معنى قوله أوتيتم اللقب أنه حجر علينا اطلاق لفظ النبی وإن كانت النبوة العامة أبدية وقوله : وأوتينا ما لم تؤتو على حد قول الخضر لموسى عليه السلام وهو أفضل منه يا موسى أنا على علمنيه اﷻ تعالى لاتعلمه أنت وهذا وجه آخر غير ماأسلفناه من قبل توجيه هذا الكلام .

والصنف الثانى الصديقون وهم المؤمنون باﷻ تعالى ورسله عن قول المخبر لاعن دليل سوى النور الايمانى الذى أعد فى قلوبهم قبل وجود المصدق به المانع لها من تردد أوشك يدخلها فى قول المخبر الرسول ومتعلقه فى الحقيقة الإیمان بالرسول يكون الايمان باﷻ تعالى على وجهه القربة لا على إثباته إذ كان بعض الصديقين قد ثبت عندهم وجود الحق جل وعلا ضرورة أو نظرا لكن ثبت ماكونه قربة وليس بين النبوة والصديقية كما قال حجة الاسلام وغيره مقام ومن تخطى رقاب الصديقين وقع فى النبوة وهى باب مغلق وأثبت الشيخ الأكبر قدس سره مقاما بينهما سماه مقام القربة وهو السر الذى وقر في قلب أبى بكر رضى اﷻ تعالى عنه المشار اليه فى الحديث فليس بين النبى صلى اﷻ تعالى عليه وسلم وأبى بكر رضى اﷻ تعالى عنه رجل أصلا لأنه ليس بين الصديقية والنبوة